# سلسلة لقاءات التفسير لشهر رمضان المبارك من عام ١٤٣٦هـ

## اللقاء الرابع عشر: سورة الإسراء (١٠٥-١١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله سبحانه أن يجعل مجلسنا هذا مجلس علم نجتمع فيه على كتاب الله راجين أن نكون ممن تقرّب إليه بالاجتهاد في فهم كتابه وأن يكون هذا سببًا لأن يكون هذا الكتاب ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا اللهم آمين.

نتدارس في جلستنا هذه سورة الإسراء هذه السورة العظيمة التي ذُكر عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: "إنهنّ من العتاق الأول وهنّ من تلادي" وبني إسرائيل المقصود بها سورة الإسراء، وقول عبد الله بن مسعود "إنهنّ من العتاق الأول" يعني من أوائل ما نزل، "وهنّ من تلادي" المقصود من أوائل ما حفظ هو.

وبذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير باسم "سورة بني إسرائيل"، ووجه تسمية سورة الإسراء بسورة بني إسرائيل: أنه ذُكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يُذكر في غيرها، من جهة الخبر عن استيلاء قوم أولي بأس والظاهر أنهم الآشوريين استولوا عليهم ثم استيلاء قوم آخرين وهم الروم، وهذه أخبار لم تُذكر في غير هذه السورة عن بني إسرائيل.

وأيضًا تسمّى هذه السورة بـ (سبحان)؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة العظيمة.

والناظر لهذه السورة يرى تكرار الكلام عن القرآن بلفظه، فتأتي مثلاً الآية التاسعة ونسمع **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}**، ثم نسمع في آية ٤١ **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا}**، وفي آية ٤٥ **{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}**، وفي آية ٦٠ **{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}**، وفي آية ٧٨ **{الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}**، وفي آية ٨٢ نسمع **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}**، ونسمع بعدها في ٨٨ **{ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}**.

هذا وغيره من ذِكر القرآن صراحةً ومن ذكر القرآن تضمينًا، ولما نسمع هذا كله وفي خاتمة السورة كما سنسمع الآن سنرى أمرًا عجيبًا!

إذا تيسّر لنا مناقشة هذه المسألة نشير بما يتيسر في استفتاح السورة بـ (سبحان)، لكن سيكون تركيزنا الآن على مناقشة هذه الآيات **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}** خاتمة للسورة، بعدما سمعنا هذا الكلام كله عن القرآن وهي معجزة النبي صلى الله عليه وسلم يقال لنا: **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}**، ومرة أخرى نسمع عن القرآن ووصفه **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ}** وأن هذا القرآن فرقناه لأسباب، لتقرأ على الناس **{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}**.

ويأتي هذا الخطاب الشديد لمن وُجّه لهم القرآن وكان النبي صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيراً لهم المقصود أمة الرسالة يقال لهم: **{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}**، فهذه التصرفات التي فيها ذل وانكسار لله عز وجل إنما تكون من الذين أوتوا العلم، أما السفهاء فقد سمعنا عن أحوالهم، يتحدّون القرآن والله عز وجل يقول في حقهم: **{ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}** ماذا يريدون بعدما تبيّنت لهم الآية العظيمة التي **{لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}** ماذا يقولون؟

**{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}** هذه الأشياء التي هي تامة الوضوح الملموسة وهذا نتيجة جهلهم، **{أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا}** يريدون العذاب، **{أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا}** يحولوا الغيب إلى شهادة والإيمان اختباره في الغيب!

**{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ}** وقالوا له لو رقيت في السماء: **{وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا}**.

ويناقشهم في القرآن بتكرار هذه المسألة، يناقش عقولهم: **{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا}** هذه نفس الحجة التي سمعناها في سورة يونس: **{أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم}**، هذا إشكالهم أنّ الله بعث بشر رسول، فيرد الله عز وجل عليهم فيقول: **{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا}** إذن لا يريدون أن يقتنعوا! هم يحاجوا ويحاجوا ولذلك بعدها أتت الآيات: **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا }** ما استفادوا من الأدوات، **{مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}**.

السورة تامّة الترابط حول هذا المعنى العظيم، في الآيات السابقة التي ناقشناها قال الله عز وجل: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}**، فهي نفس الآيات تزيد الظالمين خسارا، وهذا من أعجب الأحوال!

أن نفس الكلام يسمعه من كان في قلبه إيمان وكان بصيرا وليس بأعمى يسمع هذا الكلام فيكون شفاء ورحمة

ويسمعه الظالم الذي ما أراد نجاة نفسه وإنما أراد إتباع الهوى فتزيده هذه الآيات خسارا !

والسبب الاستقبال، كيف يستقبل أين بصره وسمعه الذي مُنّ عليه به لينتفع به.

ولذلك لما تتأملون في السور السابقة النحل والحجر وما مضى ترون الكلام عن الأعمى والبصير متكرّر، وهنا **{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا }**، فقدوا الانتفاع بالأدوات، وفي السورة نفسها الكلام عن الأعمى والبصير أيضا، نسأل الله أن يجعلنا ممن تبصّر في كتابه وعلم الحق ودفع الباطل.

بعد هذا النقاش كله يقال لهؤلاء: **{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ..}** هذه حالتهم.

نبدأ بالمقصود في وصف هذا القرآن أنه **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}**: وهذه خاتمة عظيمة لكل هذه النقاشات التي حصلت حول القرآن، كأننا نعود مرة أخرى في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا}** وأنهم قالوا لن نؤمن لك حتى تفعل وتفعل، قيل لهم لا تؤمنوا! ليس من الضروري أن تؤمنوا، قد صرف الله في هذا القرآن للناس من كل مثل.

**{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}** إلى آخر ما قالوا، فكان الجواب ليس بالشرط أن تؤمنوا، **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}**.

وهنا وُصف القرآن هنا بوصفين عظيمين كل واحد منهما يحتوي على ثناء عظيم، وتنبّه للتدبّر فيهما، لما يكون القرآن بالحق أنزل وبالحق نزل معه الحق هذا يدعونا للتدبر والتأمل فيه، فنرى ما معنى قوله تعالى: **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}**.. نقرأ كلام الشيخ السعدي ثم نتناقش فيه.

قال: "**{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ}** أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، **{وَبِالْحَقِّ نزلَ}** أي: بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم".

بمعنى بالحق أنزلناه فهو محتوي على الحق، يعني متضمّن علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأوامره ونواهيه، فمعه الحق.

وبالحق نزل يعني المقصود وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم محفوظًا محروسًا لا زيادة فيه ولا نقصان، بل وصل إليك بالحق فإنه نزل به شديد القوى، محفوظًا من كل شيطان رجيم.

إذن هذا القرآن لا ريب فيه، وجاء بالحق الذي هو ضد الباطل، إذن الجملة الأولى:

(وبالحق أنزلناه) سيكون أمامها أنه لا باطل فيه، إنما كله حق وعدل.

(وبالحق نزل) سيكون أمامها أنه لا ريب فيه.

هذا على اختيار الشيخ السعدي ومثله ابن كثير، وهناك من بادل المعنى فجعل الأولى معنى الثانية والثانية معنى الأولى، فلا بأس نكتفي بهذا الفهم.

وعلى كل حال الفهمين يدفعانا لأمر واحد وهو التدبّر في القرآن بحيث يظهر آثار هذا الأمر علينا، فلما نقرؤه ونتأمله نقول لا يمكن أن يكون إلا أن هذا كلام الله، لا يمكن، لا ريب فيه.

مثلاً في موقفنا هذا تأتي آخر آية في سورة الإسراء: **{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}**، ثم تبتدئ سورة الكهف: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}**!

فلا يمكن أن يكون إلا كلام رب العالمين، هذا الكلام لا ريب فيه، ثم نتأمل ونتدبّر الأحكام مثلا التي في سورة الإسراء ونرى كيف أنها تجمع كل الخير، وكل الاستقامة التي يمكن لمجتمع لو أقامها كما ينبغي عاش رغدًا من العيش.

كيف يقال لنا بعدما أُمرنا بالتوحيد **{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}**، ويقال لنا **{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}**، ويقال لنا **{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}**، وكيف يقال لنا: **{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}**، **(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، ولا تقربوا الزنا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تقربوا مال اليتيم، وأوفوا الكيل إذا كلتم)** كل هذا يقال لنا لنعلم حقاً أنه **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ}** نزل معه الحق، **{وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}** لا ريب فيه أبدا.

ثم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فيقال: "**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا}** من أطاع الله بالثواب العاجل والآجل **{وَنَذِيرًا}** لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر".

هنا قصْر لوظيفة النبي صلى الله عليه وسلم، الله ما أرسله إلا مبشِّر ونذير، ولما كان مبشرًا ونذيرًا لابد أن يبيّن لهم بأي شيء يبشرهم وعن أي شيء ينذرهم.

ثم أتى أوصاف أنه بالحق وللحق، **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}** هذه صفات للقرآن "أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقًا، فارقًا بين الهدى والضلال، والحق والباطل".

هذه صفتين :

فرقناه جعله منجّمًا مفرّقًا غير مجتمع، وفرّق الأشياء يعني باعد بينها، ومن أجل ذلك يقال عن البيان فرق، لأن البيان يشبه تفريق الأشياء المختلطة، إذن القرآن فرقناه بمعنى جعلنا فرقاً بين الهدى والضلال والحق والباطل .

ونزل مفرقاً يعني منجماً، يفرق بين الحق والباطل.

وهذان المعنيان يحملهم كلمة فرقناه، تحمل معنى أنه منجّم وتحمل معنى أنه فيه من البيان ما يفرّق بين الهدى والضلال وبين الحق والباطل.

لأجل أي شيء؟ **{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}**، علتان: أن يقرأ على الناس، وهذا علة جعله قرآنا، وأن يقرأ على مكث يعني على مهل وبطء وهي علة لتفريقه، يعني وقرآنا لتقرأه، فرقناه للقراءة على مكث، إذن قرآنا لتقرأه، وفرقناه لتكون القراءة على مكث، فهذه علتين.

ما المصلحة في أن يكون على مهل؟ "ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه".

كان ممكن أن ينزل جملة واحدة كألواح موسى عليه السلام، لكنه تميّز عن كل ما أنزل الله بهذه الميزة أنه مفرّق، والسبب تام الوضوح في الآية، من أجل أن تقرأه على الناس على مكث على مهل ببطء، وهذا علة التفريق، ما الفائدة التي سيستفيدها الناس؟ ليتدبروا ويتفكروا في معانيه، وبهذا نفهم أنه من اللازم أن نقرأ القرآن على مهل لنصل إلى الغاية.

وهذا الكلام يصلح جدا أن نتكلم عنه اليوم والنفوس مشتاقة لأجور قراءة القرآن في هذا الشهر العظيم متحمسة لما ينفعها، هذا فضل الله علينا أن نجد الناس يمسكون مصاحفهم ويقرأون ويجتهدون، فضل الله علينا، وليتم هذا الفضل علينا لابد أن نحقق هذا الأمر.

بمعنى أطل في النظر إلى القرآن، أشغل أوقاتك به، اجعل المسألة في الوقت بحيث أنك تطيل علاقتك بالقرآن قراءةً وتدبّرًا وتأمّلًا، لكن لا تستعجل وأنت تقرؤه، بمعنى كل واحد يعمل هذا الأمر على حسب أوضاعه لكن المطلوب من الجميع لو كان عندهم ساعة أو ساعتين أو ثلاثة أيًّا كان الوقت، يشغلوا هذا الوقت بالقرآن قراءة وفهماً وتدبراً، يصبح التفكير ليس في الإنهاء إنما يصبح التفكير في شغل الزمن بالقرآن، فإذا فكرنا بهذه الطريقة أصبح شغلنا الشاغل هو أن نزداد في كل تلاوة من المعاني والمفاهيم.

فمثلًا ابتدأنا سويًّا بدراسة سورة إبراهيم وتدارسنا موقف الشيطان وكيف كان سلطانه وأنه قال نافياً أن يكون له سلطان: **{وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}**، ولاحظنا أن الشيخ السعدي أشار أن هنا السلطان المنفي وهناك السلطان المثبت، ثم ننتقل لما نقرأ الحجر في وردنا نجد كلام عن الشيطان والسلطان، ونذهب للنحل نجد كلام عن الشيطان والسلطان، نأتي عند الإسراء نجد كلام عن الشيطان والسلطان! فيلفت نظرنا هذا ونتفكّر فيه ونعيد ونقلّب الصفحات ونعود من هذا الموطن لهذا الموطن، نتفكّر كيف أتت هذه الأخبار متتابعة عن الشيطان والسلطان، وماأنكره في سورة إبراهيم، كيف هنا الأخبار، فنفهم فنزداد يقينا.

نسمع مثلا في سورة يوسف أن يوسف عليه السلام يكلم أصحاب السجن فيقول لهم: **{ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}**، ثم تأتي الرعد مباشرة فتخبر عن الله الواحد القهار، تأتي إبراهيم تخبر عن الواحد القهار!

فنزداد يقينًا بأن هذا القرآن **{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}**، معناه نزل من أجل هذا الحق ونزل محفوظاً، فالمطلوب منا كما أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأه على الناس على مكث ليتدبروا ويتفكروا ويستخرجوا علومه، مفاهيم عظيمة في القرآن، المطلوب أن هذه المفاهيم نفهمها نعيشها ندركها، نربي نفسنا عليها، نربي أبناءنا عليها وهكذا!

لا تحتاج شيء إلا والقرآن فيه ما تحتاجه، ولذلك الجدل العظيم حول القرآن، ولذلك أول ما تحصل في الأمة أحداث –أسأل الله عز وجل أن ينزل الأمن علينا وعلى المسلمين في كل ديارنا ويحفظنا ويحفظ المسلمين من التقتيل والإرهاب وما يلحقه– أول ما يحصل هذا تجد الناس يهاجمون القرآن والدين ويهاجمون مناهج العلم! والسبب في الهجوم أنهم لا يدركون ولا من يخاطبهم يدرك كثير من المفاهيم العظيمة في القرآن التي تقول هذا ليس من ديننا، هؤلاء مفترون على الدين، ثم لما تجد هنا وهناك الشاب الذي في العشرين والخمسة عشر والثلاثين عقله امتلأ بالباطل تقول لو سبق الحق لقلبه من القرآن ومن مفاهيمه، ما كان فعل هذا الفعل! لكن المسؤول؟! المسؤول من يقرأ القرآن ويربي الأجيال على القرآن ثم نجد أن تربيته تخلو من مفاهيم ومعاني القرآن العظيمة!

المقصود أنه نزل على مكث لنقرؤه لتحقيق الغاية، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهله.

ولذلك لما نقرأ في معنى **((اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا))**[1] هذا من نعيم أهل الجنة، قد ذكر غير واحد من أهل العلم أن صاحب القرآن هو الذي يلازمه، صاحبه يصحبه، ولا يشترط أن يحفظه إنما يصحبه، فأصبحت العلة في الزمن، كم تعطي للقرآن من زمن حياتك وتفكيرك ومراجعتك، وكلما ألمّ بك شيء بحثت ونظرت

[1] رواه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وتأمّلت، ولا تقرأ المرة الثانية على أنك قد فهمت فيما سبق، فإن من عظمته أنه لا يبلى على كثرة الردّ، ومن كان صادقاً في قراءة القرآن أول الأمور هذه تتبيّن له، أنه لا يبلى أبدا، تقرأه كأنك ما قرأته، تقلّبه مفاهيم لم تخطر على بالك أبدا أنه بهذا الوضوح كالشمس مفهوم.

نسأل الله عز وجل أن ينوّر بصائرنا نحن وذرارينا وأن يحفظ شباب المسلمين من مفاهيم الباطل التي يلقيها عليهم أهل الباطل، فإن ما فيهم من حماس وما فيهم من إقبال على الدين يؤلمنا أن يستغلّه ضلعيّ الفساد! فإن أهل النفاق من الداخل، وأهل العداوة والصد عن سبيل الله من الكفار من الخارج تعاونوا وأوقعوا هؤلاء الذين لم يجدوا محاضن لتعليم التوحيد ومفاهيم الدين، أوقعوا هؤلاء في هذه المصيبة العظيمة، وهذه تسمعها بوضوح في سورة محمد: **{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}** ثم تسمع عن الذين يجلسون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرجوا من عنده قالوا ماذا قال آنفا! هؤلاء وهؤلاء يتعاونون على شباب الإسلام ولو وجد شباب الإسلام الذين أوتوا العلم كما ينبغي وعلّموهم حُفظوا من ذلك، نسأل الله عز وجل أن يغفر تقصيرنا في هذا الشأن، ندعو ربنا وهو سميع الدعاء نسأل الله عز وجل بمنّه وكرمه في هذا الشهر المبارك أن يتقبّل منّا دعاءنا لذرارينا ويحفظهم من كل شر شبابنا وشباب المسلمين ويجعلهم أداة لنشر الدين، وأن يسخر لهم من العلماء الراسخين والدعاة الصادقين ما يعلّمهم ويبيّن لهم مفاهيم الدين اللهم آمين.

قال: "**{وَنزلْنَاهُ تَنزيلا}** أي: شيئًا فشيئًا، مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة".

وهذا المعنى الحمد لله واضح، أن القرآن أُنزل مراعياً للأسباب والحوادث.

وفيه إبطال لشبهتهم لما ترد علينا في سورة الفرقان: **{لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً}**، فردّ الله عز وجل عليهم في هذه الآية الحكمة في ذلك.

قال: **{ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}** فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه ف: **{قُلْ}** لمن كذب به وأعرض عنه: **{آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا}** فليس لله حاجة فيكم".

وهنا يكرر علينا نفس المعنى الله غني حميد، غني عن طاعاتكم، غني عن عباداتكم، غني عن قرباتكم، آمنوا به أو لا تؤمنوا فليس لله حاجة فيكم.

ولستم بضاريه شيئًا، وإنما ضرر ذلك عليكم". وهذا الخطاب أتاهم بعد مزيد بيان أوضح لهم الدلائل على أن القرآن لا يكون إلا منزلاً من عند الله كما تبيّن لنا، **{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ}**، عجزوا عن الإتيان بمثله، ثم بيّن الله فضائل القرآن وما اشتمل عليه، **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}** ثم لما ردّ على اقتراحاتهم وكشف شبهاتهم، وكونهم بشر قال لهم **{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا}** فبيّن مغالطاتهم، وأقام الله نفسه شهيدا بينه وبينهم، ثم هددهم بعذاب الآخرة، ثم مثّل لهم حالهم مع رسولهم بحال فرعون: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا}**.

بعد كل هذه الآيات قال هذا، فمعناها أنكم لستم بعيدين عنهم، فموسى عليه السلام قال لهم: **{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا}**، المقصود أنتم تشبهون فرعون في كونه أتاه بالآيات ومع ذلك قال له: **{ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا}**، وأنتم أتاكم بالآية التي تناسبكم، فقد كان العرب من براعتهم في اللغة يجعلون لها أسواقاً يأتي كُلًّا ببيانه، فقوم وصل حالهم أن يجعلوا أسواقا للشعر واللغة والبلاغة والفصاحة والنثر لما يأتيهم هذا الكلام المعجز لا يؤمنوا به! هذا مثل حال فرعون يعرف الحق ويعرف السحر ولما يأتي الحق يقول له **{إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا}**! فكأنه فيه تهديد، لا تصدّقوا سيكون حالكم كحال فرعون، يستأصلكم الله! فيقال لنا هنا أن القرآن نزل من عند الحق ونزل بالحق وسواء آمنتم به أو لم تؤمنوا هذا عند الله سواء.

في مقابل هذا يأتي الخبر عن **{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}** وهذا بيان لفضل لهؤلاء، الله مستغني عن إيمانكم وقد جعل خلق في الأرض معهم العلم آمنوا، فهم أرجح منكم عقولًا وأفضل مقامًا وهؤلاء الذين أوتوا العلم وليس الذين أوتوا الكتاب، هم من الذين أوتوا الكتاب نعم لكن ميزتهم أنهم أوتوا العلم ليُعلم أن الإنسان ممكن أن يحمل الكتاب لكن لا يحمل العلم الذي فيه! وكثير من هؤلاء يقرؤون ويحفظون لكنهم لا يحملون علمًا!

المعنى أن هؤلاء الذين أوتوا به إذا سمعوه يؤمنون به ويزيدهم إيمان بما كتبهم من الوعد للرسول الذي أُنزل هذا عليه، فلما قيل في حق هؤلاء **{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}** كأنه إشارة أن أنتم جاهلون ولا حاجة لله فيكم ولا في غيركم لكن هذا من جهلكم وسفهكم، والمراد مثل ورقة ابن نوفل فقد تسامع أهل مكة بشهادته للنبي صلى الله عليه وسلم، وأيضًا من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهم جميعًا، هؤلاء لما يسمعونه **{إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا}**.

والخرور بمعنى سقوط الجسم، فيخرون للأذقان بمعنى على الأذقان، وهذا للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها في الأرض، وقوة الرغبة في السجود، وهذا دليل طبعاً الخضوع لله، **{ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا}**.

يقول الشيخ السعدي: "فإن لله عبادًا غيركم، وهم الذين آتاهم الله العلم النافع: **{إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا}** أي: يتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له.

**{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا}** عما لا يليق بجلاله، مما نسبه إليه المشركون. **{إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا}** بالبعث والجزاء بالأعمال **{لَمَفْعُولا}** لا خلف فيه ولا شك".

وهذا يردنا على أول السورة في تنزيه الله عز وجل عن أن يكون له مثيل، وفي الإخبار عن تمام قدرته، فإنهم وجدوا بالضبط ما ذُكر في كتبهم قد تحقق في الواقع وهذا يدلّ على كمال قدرة الله.

فكما كان في حادثة الإسراء ما يدل على كمال قدرة الله ففي إنزال الكتاب وجعْل الأخبار التي وردت في الكتب السابقة صورة واضحة للواقع الذي يعيشونه كل هذا دليل على قدرة الله فينزه الله عز وجل عما لا يليق بجلاله.

وينزه عن ما نسبه إليه المشركون، فمعناه التسبيح تنزيه الله عن أيّ صفة نقص. ولذا قالوا "**{إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا}** بالبعث والجزاء بالأعمال **{لَمَفْعُولا}** لا خلف فيه ولا شك" لأن خلف الوعد من صفات النقص، فكيف يظنون أن ربهم يقول لهم سيبعثهم سيجمعهم سيفعل لهم سيحاسبهم.. ثم يظنون أن هذا كله لا يحصل! تعالى الله أن يخلف وعده.

"**{وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ}** أي: على وجوههم **{يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ}** القرآن **{خُشُوعًا}**".

وهذا دليل على أنّ العلم إذا زاد يزيد العمل القلبي والعمل الجارحي، فهم **{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا}** معطوفة على **{يخرون}**، إذن هم يجمعون على الفعل الدال على الخضوع في كونهم سجدوا والقول الدال على التنزيه والتعظيم، فتجد العبودية موجودة في القلب وعلى اللسان وعلى الجوارح، وهم يتعجبون يبتهجون من تحقق وعد الله في التوراة والإنجيل بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا اعتقاد في القلب وانطلق على اللسان وحصل السجود الذي هو فعل البدن.

اعتقاد القلب تعظيم الله وتنزيهه والتعجب والبهجة من تحقق وعد الله، كانوا متيقنين أنه سيحصل، فلما حصل وقع في قلوبهم البهجة والاستبشار، خروا ذلاً، ونطقوا تعظيماً له سبحانه وتعالى وقالوا: **{إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا}**.

**{ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ}** وهنا زيادة بيان لأحوالهم، الخرور الذي حصل هو الخرور الذي حصل أولًا، ساجدين باكين، وهذا فيه اهتمام وبيان بعلامات الخشوع، وهنا أتى: **{يَبْكُونَ}** والبكاء بكاء فرح وبهجة وبكاء من اليقين، وكلما سمعوا القرآن يزيدهم القرآن خشوعا على خشوعهم الذي كان من سماعهم كتبهم، فيأتي القرآن يزيدهم خشوعا.

قال: "وهؤلاء كالذين من الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وغيره، ممن أمن في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك".

يبقى علينا هذه الانتقالة اللطيفة في قوله تعالى:

**{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}** .

هذه الآية لها سبب نزول قد رواه الطبري والواحدي عن ابن عباس وهو أن قريش سمعت النبي عند الكعبة يقول يا الله يا رحمن فقالوا يدعو إلهين ويأمرنا أن ندعو إلها واحدا! فردّ الله عليهم: **{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ}** يعني أيهما شئتم، هم فهموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال يا الله يا رحمن كأنه يدعو إلهين، فقيل لهم سواء دعوتم فقلتم يا الله أو دعوتم فقلتم يا رحمن أيهما تدعو فله الأسماء الحسنى، يعني هذه كلها أسماؤه.

وهذا يدل على أن تعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى به إنما كلها أسماء تدل على ذات واحدة وإن اختلفت فيما تتضمنه من صفات لكن في النهاية هي أسماء تدل على الله.

تنبيه مهم في حال التربية: الصغار ربما يشكل عليهم كثيرًا أن تبدّل بين أسماء الله دون أن تنبههم، فإنهم يعتقدون هذا الاعتقاد، وهذا طفل في رياض أطفال كلمته معلمة عن اسم الله وكلمته عن اسم الرحمن، فأتى بعدها وقال لها هل الله هو الرحمن؟! فقالت نعم، فأبدى تعجب شديد أنه كيف الله هو الرحمن!

فالمقصود لما ننتقل مع الصغار في أسماء الله لابد أن نتحاشى هذه المشكلة أن يظنوا أن تعدد الأسماء يعني تعدد المسمى، نقول لهم الله هو الرحمن، اسمه الرحمن وصفته كذا وكذا، وهذا يشرح بسهولة لو شرحنا لهم فقط (بسم الله الرحمن الرحيم) نقول نحن نسمي باسم الله الذي هو الرحمن الذي هو الرحيم، فربنا هذا اسمه وهذا اسمه، وكلها تدل على صفاته.

هذا أمر مهم ونحتاجه حتى لما ندعو غير المسلمين، لابد أن نقول لهم وهكذا يسمى ربنا، وهكذا يسمى ربنا..

"يقول تعالى لعباده: **{ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ}** أي: أيهما شئتم. **{أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}** أي: ليس له اسم غير حسن، أي: حتى ينهى عن دعائه به، أي: اسم دعوتموه به، حصل به المقصود، والذي ينبغي أن يدعى في كل مطلوب، مما يناسب ذلك الاسم".

وهذه القاعدة معروفة وقاعدة متصلة بالفطرة، أكيد لما نستغفر نقول يا غفور اغفر لي، ولما نطلب الرحمة نقول يا رحمن ارحمني، ولا يمكن لعقل يدرك معاني الكلمات يقول يا قهار يا جبار اغفر لي! إنما من الطبيعي أن ندعو بالأسماء الموافقة للمقام.

ثم أُمر النبي بمجموعة من الأوامر خاصة أن هذه السورة أغلبها مكية وفيها آيات مدنية.

"**{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ}** أي: قراءتك"

وهم قد سمعوه في مكة يقرأ عند الكعبة وحوله السفهاء.

"**{وَلا تُخَافِتْ بِهَا}** فإن في كل من الأمرين محذورًا. أما الجهر، فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبوه، وسبوا من جاء به".

وهذا حال السفهاء.

"وأما المخافتة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء"

ماهو المطلوب؟ "**{وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ}** أي: بين الجهر والاخفات **{سَبِيلا}** أي: تتوسط فيما بينهما".

ثم أتت بعد ذلك الأوامر العجيبة التي تناسب ختم الآية بعد بيان عظمة الله، بعد تنزيهه سبحانه وتعالى، بعد التنزيه يظهر هذا المعنى العظيم:

**{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ}** وهذا إشارة إلى تخصيصه سبحانه وتعالى بالحمد، كأننا نقول ألف لام في الحمد كأننا نقول الحمد كله لله، ولذلك تسمى ألف لام الاستغراق، كل حمد لله تستغرق جميع أنواع المحامد، اللام للاستحقاق، كل حمد يستحقه الله، وكأننا نقول في مضمونه: ولا يستحقه غيره.

إذن **{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ}** تأتي بعد النهي عن الجهر (لا تجهر، ولا تخافت) قيل له وعظّم الله بالحمد، فهذا الحمد هو الثناء على الله عز وجل بكمال صفاته، فإن الحامد يعتقد أن الله كامل الصفات وأنه سبحانه وتعالى له الثناء وله المجد، فلما ينضم التنزيه مع الحمد، يعني كوننا من بداية السورة نسبحه وسمعنا عن هؤلاء الذين أوتوا العلم ويقولون سبحان ربنا، هذا التسبيح مع الحمد تأتي هذه الدلالة العظيمة: كل صفة نقص منفية ننفيها عن الله، كل وهم يلقيها علينا الشيطان مدفوع، وكل صفة كمال يثنى عليها إنما هي حق لله وحده، فليس هناك صفة كمال إلا له وحده سبحانه وتعالى.

ويُحمد على كمال صفاته التي من أبرزها وأهمها وأبينها **{الذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}** وهذا الأمر يحتاج كثير من التفكير، فإن الرب العظيم على عظمته وجلاله وكماله وعظمة ملكوته وتدبير شؤون هذا الملكوت العظيم الذي نحن لسنا بشيء فيه، السماوات والأرض والفلك وهذه النجوم.. كل هذه الأمور الدقيقة والعظيمة مع كثرتها وعظمتها لكنه سبحانه وتعالى غني عن أن يكون له ولد يعينه ويساعده في أي شأن! تعالى الله عن ذلك، ليس بحاجة للولد أبدا، فهو سبحانه وتعالى كامل الصفات.

ثم نحمده على هذه الصفة حمداً كثيرا، فإنه سبحانه وتعالى لم يجعلنا عند باب غيره، ولم يوكل شأننا لغيره، مع عظمته وجلاله وجماله وسعة سلطانه فهو القريب الذي يسمعنا، ويستجيب لنا، وهو الرقيب علينا وهو العالم بما في قلوبنا، ليس له في ذلك معين ولا شريك، ولذلك يحمد أنه لم يتخذ ولدا، نحمده ونثني عليه الخير كله ونعتقد كماله ونعتقد أن هذا بنفسه نعمة علينا في كونه واحد سبحانه وتعالى لم يوكلنا إلى غيره ولم يكن له شريك في الملك ينازعه في ملكه فيكون الخلق في حال من الشتات وفي حال من الضياع، والكون يكون في حال من الاضطراب، يضيعوا إلى أن يتجهوا يتشتتوا يطلبوا من من؟! الكون يكون مضطربا لو كان فيه شريك. ويحمد سبحانه وتعالى على أنه لم يكن له ولي من الذل.

إذن يحمد سبحانه وتعالى على أنه:

"**{الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ}** بل الملك كله لله الواحد القهار، فالعالم العلوي والسفلي، كلهم مملوكون لله، ليس لأحد من الملك شيء".

وهذا ما سمعناه في السور السابقة، لما سمعنا في يوسف وإبراهيم أن الله واحد قهار ثم تبين لنا تفاصيل هذا كله في النحل وهنا أتى الخبر في خاتمة سورة الإسراء أنه يُحمد سبحانه وتعالى على أنه لم يتخذ ولد ولم يكن له شريك في الملك.

**{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ}**

فهو لا يحتاج إلى وليّ ولا وزير بل هو تعالى شأنه خالق الأشياء وحده لا شريك له ومقدّرها ومدبّرها بمشيئته وحده لا شريك له، بمعنى أنه ليس له ولي يحالفه من أجل أن ينصره، والناس في الدنيا يكون لهم أولياء يتحالفون معاً من أجل أن ينتصروا، فهذا يحالف القبيلة الفلانية وهذا يحالف الدولة الفلانية والله ليس له ولي من الذل.

هل معنى ذلك ليس له أولياء؟! لا، إثبات الولاية أمر غير ولاية الذل، ولاية الذل يعني ولاية الحاجة، لكن هناك ولاية العزّ بمعنى أنه ليس بحاجة لمن يواليهم وينصرهم بل هم محتاجون إليه وهو يواليهم وينصرهم محبة.

قال: "أي: لا يتولى أحدًا من خلقه ليتعزز به ويعاونه، فإنه الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في الأرض ولا في السماوات، ولكنه يتخذ أولياء إحسانًا منه إليهم ورحمة بهم **{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}**".

إذن هذا من إحسان الله، من محبة الله، من رحمة الله، لكن هو سبحانه وتعالى غني حميد ليس مثل المخلوقين يحتاجون من يتحالفون معه.

إذن نحمد الله لأنه لم يتخذ ولدا وهذا أثره واضح علينا، ولأنه لم يكن له شريك في الملك، وهذا أثره واضح علينا، ولأنه أيضا لم يكن له ولي من الذل، فلو كان له أولياء من الذل كانوا حكموا مع حكمه لكنه واحد سبحانه وتعالى إليه الملجأ وإليه المعاذ

وإليه الملاذ وبه تطمئن قلوب الذين آمنوا، ما يتشتتوا، فما أطيب التوحيد لأهل التوحيد الذين يعرفون التوحيد ويعرفون المصالح من وراء هذا التوحيد.

ثم خُتمت الآية بقوله تعالى: **{وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}**

فإذا عرفت جلاله وجماله وعرفت أنه مستحق للحمد لما له من صفات كمال، عليك أن تعظّمه وتجلّه بأن تكبره تكبيرا، بأن تخبر بأوصافه العظيمة، بأن نجلس في المجالس فنتكلم عن ربنا ونثني عليه، فإن الخلق قد صرفوا أوقاتهم في الثناء على الدنيا وعلى المطاعم والمشارب والملابس والأثاث وعلى المقاطع والأجهزة.. وكل ما تسمع من ملهياتّ وعلى شبكات النت وعلى الأمور التي رُزقوا بها ليشكروا الله ويثنوا على الله، فأصبحوا يذكروها أكثر من ذكرهم لله!

فعظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، كن مباركاً فاجلس تكلم عن الله واثني عليه بأسمائه الحسنى وبتمجيده بأفعاله المقدسة،

وكلما جدّ على الخلق شأن وتجددت عليهم نعمة فانسبها إلى الله وذكرهم بصفات الله وعلمهم عن الله، فهذا من تكبيره وبتمجيده بأفعاله المقدسة، ويكون تكبير الله أيضا بتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين كله لله.

هذا مما يحمد عليه سبحانه وتعالى ويُكبّر عليه!

وتأتي بعد ذلك سورة الكهف تزيد شأن الحمد والتكبير ومن قرأها بقلب سيجد آثار هذا كله في السورة فإن في سورة الكهف سيجد كيف يحمد سبحانه وتعالى أنه لم يتخذ ولد ولم يكن له شريك في الملك لم يكن له ولي من الذل وكيف أن الواجب أن نخبر عنه ونكبره تكبيرا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهى اللقاء بفضل الله..